بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحَابه أجمعين..

أمَّا بعدُ..

فإنَّ قوْلَ صاحبَ إحدىٰ الجَنَّتين لصَاحبه وهو يعظه ويُنَاصحه: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[الكهف:٣٩] نصيحةٌ بالغة، وكلمةٌ عظيمة، ما أحوج كلَّ إنسان إليها عندما يُصاب بعُجب في أمرٍ من أمور دنياه، أو أمرٍ من أمور دينه.

والعُجب داءٌ فتَّاكٌ، ومرضٌ خطير، إذا أصابَ العبد أهلكه واجترف أعمالَه، كما قال النَّاظم:

والعُجْب فاحذره فإنَّ العُجْب مُجترفٌ

أعمال صاحبه في سيله العرم

وكم من إنسانٍ كان هلاكُه بسبب العُجب، إمَّا أن ينال حظًّا من الدُّنيا من تجارةٍ أو مالٍ أو رئاسةٍ أو غير ذلك، فيُصاب بعُجْب يَتَعَالَىٰ به علىٰ الآخرين، ويتكبَّرُ به علىٰ عباد الله تبارك وتعالىٰ، ويتعامل مع النَّاس بما يُمليه عليه عجبه بنفسه، أو قد يكون نال حظًّا من العلم أو العبادة أو نحو ذلكم من أمور الدِّين، فيُصاب بعُجْب لما رأىٰ في نفسه من

أمورٍ فاق فيها غيرَه، أو تفوَّق فيها علىٰ الآخرين فيُصاب بعُجبٍ، وإذا أُصيب الإنسانُ بهذا الدَّاء أهلكَه، فقال هٰذا النَّاصح في نصيحته المباركة العظيمة ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ فإنَّ هٰذه الكلمة كما يقول أهل العلم: طاردة للعُجْب، إذا قالها الإنسانُ عند إعجابه بشيءٍ تميَّزَ به من تِجارةٍ أو غير ذلك فقوله لهٰذه الكلمة بمثل هٰذا المقام طاردٌ للعُجب، لماذا؟

لأنَّ هٰذه الكلمة توقفه علىٰ حقيقة الأمر، وجليّ الحال، وأنَّ هٰذا الأمر الذي حُزْتَه ووُفِّقت إليه ليس إلَّا أمرًا وقع لكَ بمشيئةِ الله؛ فلولا مشيئةُ الله ﷻ وإذنُه الكَوني القدَري لما حصل لك ذلك، فالأمر بمشيئته؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا قوَّة للعبد في تحصيل أمرٍ من الأمور أو اكتساب مصلحةٍ من المصالح إلَّا بالله ﷻ، فتكون هٰذه الكلمة مُوقفةً له علىٰ الحقيقة، فبها يتذكَّر فضل الله عليه، وأنَّ هٰذا الأمر إنَّما هو بمشيئة الله وأنَّه لو لا أنَّ الله ﷻ شاء ذلك وتفضَّل به لما كان فيتحوَّلُ من عُجْب إلىٰ حمدٍ وشكر وثناء علىٰ المُنعم ﷻ، يتحوَّل من عُجْب بنفسه إلىٰ أن يُقرَّ للمنعم جلَّ شأنه بنعمته، ويقرَّ أنه لولا فضل الله عليه ورحمتُه ﷻ لما حصَّل شيئًا من ذلك، وإذا كان عُجْب الإنسان بأمرٍ ديني مثل أن يُعجَب بعبادته وتفوَّقه علىٰ

الآخرين فيها، أو يعجَب بعلمه، أو يعجَب بحفظه للقرآن أو لأحاديث الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فإنَّ بعض النَّاس قد يُعجب؛ يصاب بعجْبٍ لكثرة محفوظاته أو كثرة معلوماته أو كثرة عبادته.. أو غير ذلك.

وكما قدَّمتُ هٰذا داء فتَّاك مجترفٌ لأعمال العبد، ومداواةُ هٰذا النوع من العُجْب بأمورٍ ثلاثة ذكرها أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ، وهي في غاية الأهميَّة:

الأمر الأوَّل: أن يذكِّر نفسه بجوانب التَّقصير الأخرىٰ التي عنده، فإذا أُعجب مثلا بعبادته أو بحفظه أو بمعاني معينة وُجدت فيه ليقلب الصفحة إلىٰ جهة أخرىٰ وهي جوانب القُصور التي عنده، والإنسان لا يزال مقصِّرًا، لا يزال مفرِّطًا، لا يزال عنده جوانب نقص، فإذا أخذ يذكِّر نفسَه بجوانب النَّقص التي عنده، ومواضع الخلل التي فيه يشغل نفسه بتدارك النَّقص ومعاجلة الخلل بدل أن يُعجب بجانبٍ معيَّن وُفِّق فيه للإحسان والإتقان.

الأمر الثَّاني: أن يذكِّر نفسه بأنَّ هٰذا الأمر الذي حصل له هو فَضْلُ الله عليه ونعمته، وأنَّه لو لا فضْلُ الله جلَّ وعلا ورحمته ﷻ لما وقع منه هٰذا الأمر، مثل ما تقدَّم معنا ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ فيذكِّر نفسه بفضل المنعم ﷻ وأنَّ هٰذا محْضُ فضل الله عليه.

والأمر الثَّالث: أن يذكِّر نفسَهُ بالقُصُور الذي عنده في العمل الذي قام به؛ لأنَّه مهما قدّم الإنسان من أعمال لابد أن يكون عنده قُصور، إن كان الذي أُعجب به حفظًا مثلا يذكِّر نفسه بالأمور الأخرىٰ التي قصَّر فيها في الحفظ، أو في العبادة يذكِّر نفسه بالأمور الأخرىٰ التي قصَّر فيها في العبادة.. وهكذا.

فبهذه الأمور الثَّلاثة ينطرد بإذن الله تبارك وتعالىٰ من العبد العُجب.

وعمومًا فالنُّفوس تحتاج إلىٰ مداواة، والعبد إذا لم يعمل علىٰ مداومة نفسه ومعالجة رعونتها وسفهها فإنَّها تُورِدُه المهالك.

أسألُ الله الكريم رب العرش العظيم أن يحفظنا جميعًا بحفظه، وأن يصلح لنا شأننا كلَّه، وأن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين.

والله أعلم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآلِه وصحبه أجمعين.

مُداواة العُجب

كلمة

للشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله

النسخة الإلكترونية الأولىٰ

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com